إخبار العباد

باستشهاد فارس من فوارس بغداد

أسد الدولة أبو عمر الشامي تقبله الله

كتبه

ناصر الدين

بسم الله, والحمد لله, والصلاة والسلام على رسول الله, وعلى آله وصحبه ومن والاه, ثمّ أمّا بعد:

حَديثٌ كُلما رَددته أثلج قَلبي وأدخل البهجة والسرور إلى قلبي, أحبه وأحفظه, عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ سَأَلْنَا عَبْدَ اللَّهِ [هو ابن مسعود] عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ قَالَ أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ [يعني: أنه قد سأل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم] فَقَالَ أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ, تَسْرَحُ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ, ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ.

فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ اطِّلَاعَةً, فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟

قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا!!

فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ, فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا, قَالُوا: يَا رَبِّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى, فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا والحديث رواه الإمام مسلم.

حَديثٌ عَظيم يُخبركَ عَن أولئك العُظماء الشُهداء, الذين لازالت قوافلهم مَاضية إلى العَلياءِ يَسوقها الشَوق إلى رَبِّ الأرض وَالسَماء.

قَوَافلٌ يَصطفيهم الرَحمن بِنَفسهِ الكَريمة, فما بَالُكَ بِأقوامٍ يَختارهم مَلك الملوك وخالق السماوات والأرض!

هذي القوافلُ بالشهادةِ قد مَضَتْ	بِالبَاذِلينَ النَفسَ للقهَّارِ
يَا ربِّ ألحقنا بِهم فِي جَنةٍ	فيها النَعيمُ وَمُتعةُ الأَنْظَارِ

هُم صَفوة الصَفوة, وَخيار مِن خيار, بَاعوا أروحهم لِيَرضى خَالِقَهم, وَقَدَّموا أنفسهم لِيَضحك منهم رَبُهم, رَووا بِدِمَائهم شَجرة العِزة لِتقطف الأمة ثِمارها, وَمُزِقَت أشلائهم لِتقام دَولة الإسلام على آثارها.

هُم صِنف عَجيب لا يَعرفون الخوف ولا يهابون الموت, أرواحهم على أكُفِهم كُلما سَمِعوا هَيعة أو فزعة طاروا إليها يبْتغون القَتل والموت مَظانه.

هم بالحقِ قد صَدعوا, وَلِدعوةِ التَوحيد دَعوا, وإذا قَالوا فَعلوا, تَقطّرت أقدامهم مِن القِيام, وَذبلت أجسادهم مِن الصيام, وَضعفت أعينهم مِنَ البُكاء وَالناس نِيام.

إذا حَكموا فالعدل مِيزانهم, وإذا تَكلموا فَالحق أقوالهم, وإذا قاتلوا فالويل لأعدائهم, حملوا هَم الأمة فما هدأ بالهم, وأقسموا بالجهاد حتى آخر قَطرة دَم.

علموا أن سَنةَ مُحمَّد صلى الله عليه وسلم سَفينة نَجاة فَتَمَسَّكُوا بِها, وزهدوا في الدنيا فَكأنهم ليسوا مِن أهلها, وَهَمهم الآخرة فكأن القيامة غدا!.

بِهم تُصلح الديار، وَتُعَمَّر الأَمصار، ويُكبت الأَشرار، هُم عِزُ الدين، وتاجُ المُوحدين، وَصفوة العابدين.

بَواطنهم كَظَواهِرهم بل أَحلى، وسرَائرهم كَعلانيتِهم بل أحلى، وَهِمَمُهم عِندَ الثُريا أعلى, إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساءوا استَغفروا، وإذا ابتُلوا صَبروا، وإذا غَضِبُوا غَفَروا.

شُرورهم مأمونة، وَقلوبهم مَحزونة، أنفسهم عفيفة, وحوائجهم خفيفة، صبروا أيامًا قليلة, لِعقبى رَاحة طويلة.

في السِّلم هُداة مُصلِحون، عَالِمون عَامِلون، وفي الحَربِ مُؤمِنون مُحتَسبون، مُجاهدون ثابتون، عُبَّاد لَيلٍ، وأُسْدِ نهار، حَملوا السِلاح في الميدانِ، وَعَلّقُوا القُلوب وَملئوها بِالقرآنِ، قَاوموا الشهوات، وقاوموا أهل العداوات.

القارئونَ كِتَابَ اللهِ فِي رَهِبٍ	والواردونَ حِيَاضَ المَوْتِ فِي رَغبٍ

يَعيشون في الدنيا بِقُلوبِ أهل الآخرة, وَيَعيشون فَوق الأرض وقلوبهم تهفو إلى رضا المولى عز وجل

ودخول جناته, ورفقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

مُخلصون لله رَبّ العالمين، فإذا جاءتهم الدنيا جعلوها في أيديهم ولم يُدخلوها في قُلوبهم، لا يَعبدون الأشخاص, ولا الأهواء, ولا الطاغوت أيا كان فقد تبين لهم الرُشد من الغي, فَكفروا بالطاغوت وآمنوا بالله وحده فاستمسكوا بالعروة الوثقى لا انفصام لها.

لِلَّهِ دَرُّ عِبَادٍ قُرْبَهُ طَلَبُوا	لَمْ يَطْلُبُوا فِضَّةً مِنهُ ولا ذهَبَا
سَارُوا بَعْزِمٍ وَتَشْمِير وَمَا اتَّخَذُوا	فِي سَيْرِ دُنْيَاهُمُوا لَهْوًا وَلا لَعِبَا
الصِّدْقُ مَرْكَبُهم وَالْحَقُ مَطْلَبُهُمْ	لا زُورَ مَازَجَ دَعْواهُم ولا كَذِبَا

إذا أردتهم في وقتنا هَذا فاعلم أنهم في أربع: فِي أرض الله غُرباء مُطاردين, وفي سُجون الطواغيت مُعتقلين, وفي ساحات القتال مُجاهدين, وتحت الأرض مُدفونين, فإذا وجدتهم فتمسك بهم فإنهم هم المنصورون, ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهِ﴾.

هُمُ الرِّجَالُ فَإِنْ تَسْلُكْ طَرِيقَهُمُوا	نِلْتَ الْمُنَى لَيْسَ بَعْدَ الْعَيْنِ آثَارُ
سَلْهُمْ وَسَلْ عَنْهُمُوا مَنْ كَانَ يعْرِفُهُمْ	فَعِنْدَهُمْ لِمُقِيمِي الدِّينِ أَقْدَارُ
أَنْعَمْ إِذَا كُنْتَ تَهْوَاهُم بِقُرْبِهِمُوا	وَاصْحَبْهُمُوا إِنْ نَأَتِ يَوْمًا بِكَ الدَّارُ

نفوسٌ تَرجو تَحصيل كُل خصلةٍ نبيلةٍ وكل فُرصةٍ ثَمينةٍ.

أخلاقهم عَمّا يَشِينُ نقيَّـةٌ ..

ونفوسهم عمَّا يَعيبُ مُكفكفة ..

ما استعبدتهم شهوةٌ تدعو إلى الصفراءِ والبيضاءِ ..

لا .. والزخرفة ..

ليسوا بأسرى الأرغفة ..

ليسوا بأسرى الأرصدة ..

ليسوا بأسرى الأشربة ..

الأطعمة ..

الألبسة ..

قومٌ إذا جَدَّ الوغى كانوا لُيوث الملحمة ..

مَلأٌ لقد مَلأ الإله صُدورهم ..

نُورًا فَكَانت بالضياءِ مُزخْرَفة ..

فما أفضل ما يَصنعون, وما أغلى ما يطلبون, وما أجمل ما ينالون, في حياتهم الدنيا عِزَّةٌ ورفعةٌ وشرفٌ عظيم, وبأيديهم يَكتبون النهاية التي يريدون, وفي حياتهم الأخرى جنةٌ بل جَناتٌ ورفعةٌ في الدرجات ورضا رب الأراضين والسماوات.

ارتبطوا بالله جل جلاله فلا يَعملون إلا له, ولا يَسألون إلا إياه, ولا يَتطلعون إلا إلى فَضله, ولا يرجون إلا رحمه.

فهم أقوياء بِقوته, وَأغنياء بِفضله. صَدقوا ما عاهدوا الله عليه فاختارهم الله وشرفهم بِالشهادةِ واصطفاهم من بين جميع عباده ليَسرحوا ويَمرحوا في الجنةِ حيث شَاءوا.

ومن هؤلاء نَحسَبُه والله حَسيبه الأخ الهُمام والجُندي المقدام أبُو عُمر الشَامي تَقبله الله في جنات النعيم.

إيهٍ أبا عمر جَاء اليوم الذي أكتب فيه -تقبله الله-

فمتى يُقال تقبلك الله يا ناصر ؟! متى؟!

والله لقد حَنَّت نُفوسنا لتلكَ الديار , وَذابت قُلبونا حَسرة لتخلفنا عَن اللحاق بِركبكم, واشتاقت الأعين لرؤية الله جل جلاله وَتقدست أسماءه.

أبو عُمَر شَاب في مُنتَصفِ العِشرين مِنَ العُمُرِ مُتوسط الطويل قَوي الجسد أشقر الشعر أفلح الوَجه كأنه فِلقَة قَمر.

أَبُو عُمَر شُعلة نَشاط وإخلاص وَهِمة, ما رأيت أشجَعَ ولا أخلصَ ولا أَعَزَّ ولا أرحم منه.

شُجاعٌ حتى أكاد أجزم أنَّ الجبنَ لا يَعرف إلى قلبه طريق! فهو يَعلم علم اليَقين أنَّ الأجلَ مَحتومٌ, وأن الموتَ مَقسومٌ, وأن ما أخطأ لا يُصيب, وأن سَهم المنية لكل أحد مُصيب, وأن كَل نفس ذائقة الموت, و«أن مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ, وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ» رواه احمد.

وأنَّ المَوتَ والحياة بِيدِ الله، وأنه لا يُنجي حَذرٌ مِن قَدر, وأنَّ الموتَ ليسَ بِالإقدام, وأنَّ السَلامة ليست بِالإحجَام, كما قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾, فكان تقبله الله من الثابتينَ المُرابطين, وكان شعاره قول رَبِّ العالمين: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فكان يُقدِمُ على الموت غَيرَ هَياب، ولا مُبالٍ بما يناله مِن الأذى والمَصائب في سبيل الله، لسان حاله:

مِن أيّ يومَيّ من الموت أَفِرّ	أيومَ لم يُقْدَرَ أَمْ يَومَ قُدِرْ
فالذي قُدِّر لا أهابهُ	وَمِنَ المَقدورِ لا يُنجى الحذر

يتسابق إلى الصفوفِ الأُول فما مِن غزوةٍ إلا وَالشامي في طَليعتها, في أيامهِ الأخيرة قَلَّلَ الإخوة من الاستعانةِ بِه في الغَزوات خَشية عليه مِن الاعتقال لأنه عَربي و سيطرات العدو مُنتشرة في كلِ شارع وزقاق, فرأيت الحُزن قَد مَلأ قلبه وكَتَم أنفاسه وكأن القتال هَوائه الذي يعيش به ومائه الذي لا يَحيى بدونه!!.

لا يَعرِف الجُبن وَالخوف والفُتور, في يومِ مقتله كانَ مَريضاً مَرضاً شَديداً لَكِنَّ مَرضه لم يَصده عن نُصرة دينه والغزو في سبيل ربه!! فأين الأصحاء؟ لا نَامت أعين الجُبناء!

هُوَ الفارسُ المقدام في كَلِ هَيعةٍ	مُجيب وغايات المنايا مَنازِله

كمي كَريمُ الطَبع أروع ماجد
صَبور وَقور لا تُعَدُّ شمائله
و والله ما مات الشهيد و إنما
جهاد العِدى ماض وتلك قوافله

شديدُ الإخلاص مع ربه جَل جلاله وَمِن شدةِ إخلاصه أنه أصيب إصابة شديدة في إحدى عينيه قبل سَنوات خَلت, فَلمَّا تَعالَج وَحَسُنَ حَاله بَقي يَكتم أمر عَينه حتى مَرت أشهر فسألته عنها فقال لا أرى بها شيء!! سبحان الله أشهر طوال ولا أحد يعلم أنه يَسير وَيغزو بِعَينٍ واحدة!!

كان لا يُظهر عِبادته لأَحَدٍ, وَكَانَ يَنزعِجُ إذا مَا حَدَّثه أحد بِغزواتٍ شَارك فيها, يقول دائما: والله إني لأخشى على نَفسي الرياء.

زاهد متوكل لَم أَرَ في الزهدِ أَحد مِثله, فما كان المال يَهمه! وَيكأنه يحمل بين يديه تُراب لا مَال! إذا وجد الطعام أكل وإذا لم يَجد لم يَأكل, تَكفيه لُقمة خَفيفة في اليوم فلا يَتَبَطّر ولا يَتململ بل تراه حامد لله شاكر لأنعمه وفضله وكرمه سبحانه.

احتاج إلى المالِ لأمر مُهم جدا فاضطر إلى مُراسلة أهله بالخارجِ لِيطلُب منهم المَعونة فقال له والده: أنا أعطيك ما بدا لك من المالِ شَرط أن تَرجع إلى بلدك وتترك القتال!!

فردَّ الأسد بكلماتٍ تُنبيك بالعزة قال: والله لو أعطيتموني أموالَ الدنيا بأسرها ما تركت الجهاد في سبيل الله.

فيا لله ما أصدقه وما أزهده!!

يا زاهداً عرف الحياة فما هوى
في المغرياتِ ولا سَباهُ المَظهر
نَم في جنانِ الخُلد يا عَلمَ التُقى
وانعم بِظلٍ وافرٍ لا يُحسَر

أَحَبه الإخوة بل وكثير مِنَ الناسِ حُباً شَديداً وما هذا إلا لِفرط أدبه وَسعة حُبه لهم والذودِ عنهم, وما أحسبه إلا من الذين أحبهم الله فأدخل حُبه في قلوبِ عِباده.

كُنا نُشاهِدُ سَوياً إصدار الأسود في تَنظيمِ قَاعِدةَ الجِهادِ في جَزيرةِ العَرب (فُزت وَرب الكعبة 2) رأيت الدموع تَهل مِن عَينيهِ وهو يرى حبيب القلب وقرة العين أبي الخير مُحمد العُسيري وإخوانه الشهداء, فكان الشامي يبكي ويقول: أين نَحن من هؤلاء!! يعني الشُهداء!!

لم يكن يعلم أن الله سَيختم له بِالشهادةِ بعد أيام -كذا أحسبه- ليكونَ مَعهم في الفردوسِ الأعلى بإذن الله, ويبقى ناصر بعدهم مَكسور الفؤاد!.

آهٍ عليكَ أيا أُخيّ تركتني ... في هذهِ الدُّنيا وأدركتَ الصِّحابْ

ابتليَ رحمه الله كما أبتي الأنبياء والصالحون مِن قبله فقد تَعرض لأنواع الابتلاءات والفتن, سُجِنَ وعُذِّبَ, ذَاقَ الفقر وبُعد الأهل وغُربة الديار, وَ والله ما رأيتهُ يَشتكي مِن حاله أبداً, بَل عَهِدته صابراً مُحتسباً راضياً بأمرِ الله.

صَبَرتَ على الأحكامِ طَوعاً وَطَاعةً ... وذُقْتَ مِن الآلامِ طَعمَ البَليةِ
وكُنتَ حَمُولاً للنَوائبِ كلُها ... صَبوراً على الأقدارِ في دارِ غُربةِ
لَقَد عِشْتَ مَحبوباً ومِتَّ مُكرماً ... عَليكَ مِن الرحمن أزْكَى تَحيةِ

ما كان يخرج من ابتلاءٍ حَتى يَقع في غيره! وما ذاك إلا لأن الله تبارك وتعالى يُريد أن يرفع قدره ويُجزل جزاءه قال عليه الصلاة والسلام : «عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ» رواه ابن ماجه في سننه.

وعَنْ سَعْدٍ قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاَءً؟ قَالَ: «الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلاَبَةٌ زِيدَ صَلاَبَةً، وَإِنْ كَانَ فِى دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَلاَ يَزَالُ الْبَلاَءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى الأَرْضِ مَا لَهُ خَطِيئَةٌ» رواه الدارمي في سننه.

كان تقبله الله كَثير العمل حَتى يُتعبَ جَسده, ولقد رأيته أيام طِوال وهو لا يَستوي على الوقوف مِن شِدةِ التَعب في سبيل الله, وَنرجو الله أن يكون ممن استبدل الله عذابهم في الدنيا بِجناتٍ تجري من تحتها الأنهار, في يومٍ لو غُمِس أَحدُ المؤمنِين غمسةً في الجنةِ وهو أشد الناسِ بَلاءً في الدنيا فيقولُ: ما رأيتُ بلاءً قط! يَنسى كلَّ بلائه وشقائه بِغَمسَةٍ واحِدَةٍ، سبحانَ المُنعمِ العَظيمِ!؛ يقول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «يُؤْتَى بِأَشَدِّ المؤْمِنِينَ ضُرًّا وَبَلاءً، فَيُقَالُ: اغْمِسُوهُ فِي الجَنَّةِ، فَيُغْمَسُ فِيهَا غَمْسَةً، فَيُقَالُ: أَيْ فُلانُ: هَلْ أَصَابَكَ خَيْرٌ قَط أَوْ بَلاَءٌ؟! فَيَقُولُ: مَا أَصَابَنِي قَطّ ضُرٌّ أَوْ بَلاَءٌ» رواه أحمد ومسلم.

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ مُوسَى قَالَ: أَيْ رَبِّ، إِنَّ عَبْدَكَ الْمُؤْمِنَ تَقْتُرُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا!، قَالَ: فَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا فَيَقُولُ: يَا مُوسَى، هَذَا مَا أَعْدَدْتُ لَهُ. فَيَقُولُ مُوسَى: وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ، لَوْ كَانَ أَقْطَعَ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ يُسْحَبُ عَلَى وَجْهِهِ مُنْذُ يَوْمٍ خَلَقْتَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَكَانَ هَذَا مَصِيرَهُ لَمْ يَرَ بُؤْسًا قَطّ.

قَالَ: ثُمَّ قَالَ مُوسَى: أَيْ رَبِّ، عَبْدُكَ الْكَافِرُ تُوَسِّعُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا!، قَالَ: فَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ النَّارِ فَيَقُولُ: يَا مُوسَى، هَذَا مَا أَعْدَدْتُ لَهُ . فَقَالَ مُوسَى: أَيْ وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ، لَوْ كَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا مُنْذُ يَوْمَ خَلَقْتَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَكَانَ هَذَا مَصِيرَهُ، لَمْ يَرَ خَيْرًا قَطّ» رواه أحمد.

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي الْهُذَيْلِ؛ أَنَّ مُوسَى، أَوْ غَيْرَهُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ يَكُونُ هَذَا مِنْكَ؟ أَوْلِيَاؤُكَ فِي الأَرْضِ خَائِفُونَ يُقْتَلُونَ، وَيُطْلَبُونَ وَيُقَطَّعُون، وَأَعْدَاؤُكَ يَأْكُلُونَ مَا شَاؤُوا، وَيَشْرَبُونَ مَا شَاؤُوا!! وَنَحْوَ هَذَا، فَقَالَ: انْطَلِقُوا بِعَبْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ مَا لَمْ يَرَ مِثْلَهُ

قَطُّ، إِلَى أَكْوَابٍ مَوْضُوعَةٍ، وَنَمَارِقَ مَصْفُوفَةٍ وَزَرَابِيَّ مَبْثُوثَةٍ، وَإِلَى الْحُورِ الْعِينِ، وَإِلَى الْوِلْدَانِ، وَإِلَى الْخَدَمِ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ، فَقَالَ: مَا ضَرَّ أَوْلِيَائِي مَا أَصَابَهُمْ فِي الدُّنْيَا إِذَا كَانَ مَصِيرُهُمْ إِلَى هَذَا؟ ثُمَّ قَالَ: انْطَلِقُوا بِعَبْدِي، فَانْطَلِقْ بِهِ إِلَى النَّارِ، فَيَخْرُجُ مِنْهَا عُنُقٌ فَصُعِقَ الْعَبْدُ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: مَا نَفَعَ أَعْدَائِي مَا أَعْطَيْتُهُمْ فِي الدُّنْيَا إِذَا كَانَ مَصِيرُهُمْ إِلَى هَذَا ؟ قَالَ: لاَ شَيْءَ.
مصنف ابن أبي شيبة:ج 13ص 115.

أقْدَمَ على الزَواجِ فَخطب امرأة مُسلِمة, فَلم يَمضي مَعها وقت طويل حَتى فارقها قبل مَقتله بِأسابيع, فكأن الله تبارك قدره لم يَرضى له بِحورِ الطين فأبدَلهُ بِزوجةٍ جَميلة حَسناء مِنَ الحور العين نسال الله ذلك.

أيلامُ من عَشِقَ الجنان ورَوحها	وعلى خَطى الأصحابِ دَوماً سَاري
تَرك الزواج تَعجّلاً للقاء حُور	العِين تَحت الظِل والأشجار

قُتِلَ تقبله الله في غَزوةٍ مِنَ الغَزوات المُباركة الناجحة مُقبلاً على القتلِ غَير مُدبرٍ, لتروي دِمائه الزكية قَلب بَغْدَاد الغَالية, فيا لله كَم غَزوة في سبيلِ خاض! والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (مَنِ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ في سَبِيلِ اللَّهِ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّار) رواه البخاري, وقال صلى الله عليه وسلم: (من قاتل في سبيل اللَّه من رجل مسلم فواق ناقة [الفواق: ما بين الحلْبتين] وجبت له الجنة) رواه أبو داود, وكم عدو من أعداء الله قَتَل! والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لا يجتمع كافر وقَاتله في النارِ أبداً) رواه الإمام مسلم.

بـاع نفسـه ابتغـاء مَرضـاة اللـه ﴿إِنَّ اللَّـهَ اشْـتَرَى مِـنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِـأَنَّ لَهُـمُ الْجَنَّـةَ يُقَـاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْـهِ حَقًّـا فِـي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِـنَ اللَّـهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُـمُ الَّـذِي بَـايَعْتُمْ بِـهِ وَذَلِـكَ هُـوَ الْفَـوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

رحل أبو عمر إلى قومٍ لطالما أحبهم وسأل الله أن يَكونَ معهم كأبي مُصعَب وأبي أنس والبغدادي والمُهاجر وغيرهم من القادةِ والعُلماء, فَكم سال دَمعه حُزناً على فِراقهم, وَكم قَتَل من كافرٍ ثأر لَهم.

رحل ولسان حاله يقول لمن بَعده من المسلمين: ﴿وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

مَضَى طَاهِرَ الأثوابَ لم تَبقى رَوضة	غَداةَ ثَوى إلا اشتَهت أنها قَبْرُ
عَليكَ سَلامُ اللهِ دَوماً فَإنني	رأيتُ الكَريم الحُر لَيسَ لَه عُمرُ

فيا فرسان الأمة إن أبا عُمر قد قُتِل وإن دمائه لن تَضيع بإذن الله سُدى, وستكون دمائه نُور لأولياء الله وَنار تَحرق أعداء الله, فاحرقوا الأرض تحت أقدام الكفرة, وزلزلوا عروش الظلمة, وَشُدوا الهمة, واشحنوا إيمانكم, وَزيدوا عَملياتكم, فَعدوكم هالك لا محالة, وإني والله أراه يترنح وَسط ضَرباتكم, وإني أرى النَصر قد لاح في الآفاق وفاحت رَائحته فلا تَتوانوا ولا تحزنوا ولا تَهتموا وإن رأيتم للكفر شوكة فإن الله يقول: ﴿لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلاَدِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ متاع قليل, يَنتهي ويَذهب, أما المأوى الدائم الخالد, ﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.

وفي مُقابلِ المتاع القَليل الذَاهب جَنات وَخلود, وتكريم مِنَ الله للذين اتقوا رَبهم وصبروا على ما أصابهم: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللّهِ وَمَا عِندَ اللّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ﴾.

وقال جل جلاله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ فجند الله هُم الغالبون, مَهما كانت العوائق، ومَهما زادت العراقيل, ومَهما رصد لهم الباطل من

قوى الحديدِ والنار، وقوى الدعاية والافتراء، وقوى الحرب والمقاومة، فما هي إلا مَعارك تختلف نتائجها, ثُمَ تنتهي إلى الوعدِ الذي وَعده الله لِرسله, والذي لا يخلف ولو قامت قوى الأرض كلها في طريقه, الوعد بالنصر والغلبة والتمكين.

ولقد وعدنا قادة الكفر بالهزيمةِ والخسران, و وعدنا الله بالنصر على الطغيان فقال سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ وها نحن اليوم ننتظر أي الوعدين يحقق, و والله.. لن يحقق إلا وعد الله, أما وعود أهل الكفر فستكون بإذن الله هباءً منثوراً, وستنسفه رياح الحق نسفاً, فتذره قاعاً صفصفاً, وإن ذلك بإذن الله قريب قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.

قولوا لأحزابٍ تَكاثرَ جَمْعُها	أتُحَارِبونَ الله ذَا السُلطانِ!
خِبتم خَسَرتُم ربّنا هُوَ غَالِبٌ	وَالدينُ مَنصورٌ مَدى الأزمَانِ

وإني لأخبر أهله بِكلماتٍ أُثَبِتُ بها قُلوبَهم وأَشرح بِها إن شاء الله صُدورهم أقول فيها: أبشروا فليس مثل إبنكم يموت ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وان ابنكم قد أصابه من الكرامةِ ما ليس بعدها يقول صلى الله عليه وسلم: (مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوتُ، لَهُ عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لاَ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلى الدُّنْيَا، وَأَنَّ لَهُ الدُّنْـيَا وَمَا فِيهَا، إِلا الشَّهِيدَ لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ، فَإِنَّهُ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنيَا، فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخرى) رواه البخاري, وفي لفظ آخر في البخاري أيضا: (فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الكَرامَة).

وابشروا واستبشروا بمنزلةِ ابنكم فإن (الشُّهَدَاءَ عَلَى بَارِقِ نَهْرٍ بِبَابِ الْجَنَّةِ، فِي قُبَّةٍ خَضْرَاء، يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ رِزْقهُمْ مِنَ الجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيَّة) والحديث رواه أحمد.

وإني لأشد أن أبا عمر ما تأخر عَن الصف الأول والنبي الحبيب صلى الله عليه وسلم يقول: (أَفْضلُ الشُّهَدَاء الَّذِينَ إِنْ يَلْقَوْا فِي الصَّفِ لا يَلْفِتُونَ وجوهَهُمْ حَتَّى يُقْتَلُوا، أُولَئِكَ يَتَلَبَّطُونَ فِي الْغُرَفِ العُلَى مِنَ الْجَنَّةِ، وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ، وَإِذَا ضَحِكَ رَبُّكَ إِلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا، فَلا حِسَابَ عَلَيْه) رواه أحمد.

بل والله يكفيكم أن تعلموا (إِنَّ لِلشَّهِيدِ عِنْدَ الله خِصَالاً:

أَنْ يُغْفَرَ لَهُ مِنْ أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ,

ويُرَى مَقْعَده مِنَ الجَنَّةِ،

وَيُحَلَّى حِلْيَةَ الإِيْمَانِ

وَيُجَارَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ،

وَيَأْمَنَ مِنَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ,

وَيُوضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوقَارِ، اليَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا.

وَيُزوَّجَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِنَ الْحُورِ الْعينِ،

وَيُشفعَ فِي سَبْعِينَ إِنْسَاناً مِنْ أَقَارِبِهِ) رواه أحمد. فيا لله ما أجملها مِن خِصال! والله لأن أفوز بواحدةٍ مِن هَذهِ الخِصال خَير لي مِن الدُنيا بِما فيها, أسال الله العظيم رب العرش الكريم أن َيجمعنا بأخينا الحبيب أبي عمر في الفِردوس الأعلى مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

اللهم تقبله شهيدا, اللهم تَقبله شَهيداً, اللهم تَقبله شَهيداً, وألحقنا به مُقبلين غَيرَ مُدبرين يا رب العالمين, اللهم لا تَحرِمنا أجره ولا تَفتِنا بعده, اللهم انصر دينك وأعلي كلمتك يا رب العالمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه

ناصر الدين

في

الـ 14 من ذي القعدة سنة 1431هـ

المـوافق 21 من أكتوبر سنة 2010م

شبكة أنصار المجاهدين

www.as-ansar.com/vb